وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحَرَالّي المراكشي

(٦٣٨هـ/١٢٤١م)

تفسير أبي الحسن الحرالي

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي المراكشي الأندلسي الأصل، ولد ونشأ في مدينة مراكش بالمغرب، وأخذ عن مشاهير علماء وقته، كأبي الحسن ابن القطان الفاسي، وابن الكتاني الفندلاوي، وأبي ذر الخشني، وابن خَروف. وعمل كاتباً للسلطان المنصور الموحدي، ثم رحل إلى المشرق، ومكث في طريقه بطرابلس الغرب ما شاء الله. أخذ عنه فيها أهلها علوماً، ودخل مصر ولقي فيها علماء ناظرهم، ففلج عليهم لما كان يتمتع به من ذكاء وقّاد وعقل رياضي وملكة قوية في المنطق والفلسفة والتعاليم إلى جانب العلوم الشرعية، ثم حج وجاور وعاشر شيخه بها أبا عبد الله القرطبي الذي كان يتميز بفهم خاص في القرآن أوتيه بعد معاناة الزهد والانقطاع إلى التأمل والتدبر، وعلى نهجه سار بعد ذلك فيما كتب. وبعد رجوعه من رحلته المشرقية، استقر بمدينة بجاية في الجزائر، وأخذ يقرئ مؤلفاته وينشر آراءه في التفسير، وفيها الغريب المثير، الشيء الذي أثار الناس عليه، فانتقدوه وألجأوه إلى الخروج، فخرج عائداً إلى المشرق، وانتهى إلى مدينة حماه بالشام (سورية) حيث عاد إلى الإقراء والتدريس، وتعرض للنقد والتجريح[1]،

(١) قال الذهبي في الميزان: كان فلسفي التصوف، ملأ تفسيره بحقائقه ونتائج فكره، وزعم أنه يستخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها اهـ. ولا تنس أن من مؤلفاته: «السر المكتوم في مخاطبة النجوم»؟!.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

واستمر كذلك إلى أن توفي بها عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤١م.

وقد تصدَّى الباحث محمادي بن عبد السلام الخياطي الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة القرويين بتطوان في المغرب، لدراسة الحرالي وجمع مؤلفاته وتحليلها وتحقيقها، فكان من بواكير عمله: صدور المجلد الأول من مشروع «سلسلة تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي» رقم (١) عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، في سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٩٧م بعنوان: «تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير» في ٦٣٢ صفحة بالفهارس. وقد تضمن المجلد الأول مؤلفات أربعة:

١ ـ مفتاح الباب المقفل، لفهم القرآن المنزل.

٢ ـ عروة المفتاح.

٣ ـ التوشية والتوفية.

٤ ـ نصوص من تفسيره المفقود.

قدم المجلد الدكتور محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية، تقديماً مركزاً مفيداً، يليه الإهداء لروح العلامة المغربي المحقق محمد إبراهيم الكتاني تقديراً لجهوده، ثم تقديم للمحقق ضمَّنه التعريف بالمؤلف، وشرح منهجه المتمثل في قسمين: نظري، ويشمل ثلاث رسائل، وهي «مفتاح الباب المقفل»، و«عروة المفتاح»، و«التوشية والتوفية». وتطبيقي، وهو ما تم العثور عليه من نصوص تفسير المؤلف للقرآن الذي يعتبر ضائعاً، وقد استلها المحقق من تفسير البِقاعي المسمى «نظم الدرر، في تناسب الآيات والسور» المطبوع، وقد تتبعها المحقق فوجد أن النقل لا يتجاوز سورة البقرة وجزءاً من سورة آل عمران، لأن البقاعي لم يقف على التفسير كله، وتمنى أن ييسر الله له الاطلاع على بقيته، ويظهر أنه كان لنقد العلماء لصنيع الحرالي في التفسير، أثر في الإعراض عنه، إضافة إلى قلة اهتمامه بالتفسير المأثور.

والرسائل الثلاث الأولى في بيان منهج المؤلف في التفسير وبيان بعض أهداف القرآن ومقاصده، وقد تجاوزنا الحديث عنها اختصاراً، لأن المقصود

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التعريف بتفسيره ومنهجه الذي نجمله في محاولة المؤلف الانفراد بفهم خاص لا يكون مسبوقاً به بطريقة فلسفية أثارت إعجاب عدد من العلماء كالبقاعي وابن البارزي وابن الطواح والغبريني، كما استثارت نقمة آخرين من المحافظين السلفيين لما تتسم به من غموض متعمد، وتحميل الألفاظ ما لا تتحمل، واستعمال ألفاظ موهمة، في نفَس صوفي غريب يعتقد أن للقرآن باطناً غير ظاهره، مع تنكّب المأثور من تفاسير السلف.

وإليك نموذجاً كافياً من كلامه على سورة الفاتحة:

(الباء) معناها: ما أظهره الله سبحانه من حكمة التسبيب ﴿الاسم﴾ ظهور ما غاب أو غمض للقلوب بواسطة الآذان على صورة الإفراد، ﴿اَللَّهِ﴾ اسم ما تعنو إليه القلوب عند موقف العقول، فتأله فيه، أي تتحير بتألهه وتلهو به أي تغنى به عن كل شيء ﴿اَلرَّحْمَٰنِ﴾ شامل الرحمة لكافة ما تتناوله الربوبية ﴿اَلرَّحِيمِ﴾ خاص الرحمة بما ترضاه الإلهية.

وقال في غريب معناها: لما أظهر الله سبحانه حكمة التسبيب، وأرى الخلقَ استفادة بعض الأشياء من أشياء أُخَر متقدمة عليها كأنها أسبابها، وقف بعض الناس عند أول سبب، فلم يروا ما قبله، ومنهم من وقف عند سبب السبب إلى ما عساه ينتهي إليه عقله، فطوى الحق تعالى تلك الأسباب وأظهر بالبسملة أي بتقديم الجار: أن كل شيء باسمه لا بسبب سواه.

وقال: استفتح أم القرآن بالبسملة لما كانت نسبتها من متلو الصحف والكتب الماضية نسبة أم القرآن من القرآن: الكتاب الجامع للصحف والكتب لموضع طيها الأسباب، كما تضمنت أم القرآن سر ظهور الأفعال بالعناية من الحميد المجيد في آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، هذا في ظاهر الخطاب إلى ما وراء ذلك من باطنه، فإن لكل آية ظهراً وبطناً، وليلزمها الخلق في ابتداء أقوالهم وأفعالهم (هكذا قال).

قال الحرالي: و﴿اَلْحَمْدُ﴾: المدح الكامل الذي يحيط بجميع الأفعال والأوصاف على أن جميعها إنما هو من الله سبحانه وتعالى، وأنه كله مدح لا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يتطرق إليه ذم، فإذا اضمحل ازدواج المدح بالذم وعلم سريان المدح في الكل، استحق عند ذلك ظهور اسم الحمد مكملاً معرفاً بكلمة (ال) وهي كلمة دالة فيما اتصلت به على انتهائه وكماله، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال الحرالي: واليوم مقدار ما يتم به أمر ظاهر، ثم قال: ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ في الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بإمضاء المجازاة حيث تسقط دعوى المدعين، وهو من أول يوم الحشر إلى الخلود فالأبد، وهو في الحقيقة من أول يوم نفوذ الجزاء عند مقارفة الذنب في باطن العامل إثر العمل، إلى أشد انتهائه في ظاهره، لأن الجزاء لا يتأخر عن الذنب، وإنما يخفى لوقوعه في الباطن وتأخره عن معرفة ظهوره في الظاهر، ولذلك يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام: «إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء»، وأيضاً فكل عقاب يقع في الدنيا على أيدي الخلق، فإنما هو جزاء من الله وإن كان أصحاب الغفلة ينسبونه للعوائد كما قالوا: ﴿مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف/ ٩٥] ويضيفونه للمعتدين عليهم بزعمهم، وإنما هو كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى/ ٣٠]، وكما ورد عنه عليه الصلاة والسلام: «الحمى من فيح جهنم»، «وإن شدة الحر والقر من نفَسها»، وهي سوط الجزاء الذي أهل الدنيا أجمعهم مضروبون به، ومنهل التجهم الذي أجمعهم واردوه من حيث لا يشعر به أكثرهم، قال عليه الصلاة والسلام: «المرض سوط الله في الأرض، يؤدب الله به عباده»[1]، وكذلك ما يصيبهم من عذاب النفس بنوع الهم والغم والقلق والحرص وغير ذلك. وهو تعالى ملك ذلك كله ومالكه سواء ادعى فيه مدع أو لم يدع، فهو تعالى بمقتضى ذلك كله، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ومالكه مطلقاً في الدنيا والآخرة. وإلى الملك أنهى الحق تعالى تنزل أمره العلي، لأن به رجع الأمر عوداً على بدء بالجزاء العائد على آثار ما جبلوا عليه من الأوصاف، تظهر عليهم من الأفعال، كما قال تعالى: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾ [الأنعام/ ١٣٩] و﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الواقعة/ ٢٤].

(١) الحديث ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، رقم: ٥٩٣٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وبه تم انتهاء الشرف العلي، وهـو المجد الذي عبر عنه قوله تعالى: ﴿مجدني عبدي﴾ انتهى.

وهكذا يستمر الحرالي في تفسيره.. يعتسف أحياناً، ويستوي وينشرح وينطوي أحياناً أخرى.

مصادر الترجمة

- الأعلام للزركلي (٤/٢٥٦)، ط. ٤ وما ذكر من مصادره.
- تقديم المحقق.

This file was downloaded from QuranicThought.com